# أصل سكان واحة سيوة ولهجتهم

أ.د. مرفت أسعد عطا الله*

أ.د. محمد جابر المغربي*

د. محمد فوزي رحيل*

د. محمود كامل عبد الكافي*

إيمان محمد توفيق*

تاريخ الإستلام : ٢٠٢٣/٧/٣٠ تاريخ قبول البحث للنشر : ٢٠٢٣/٩/١١

**المستخلص**

تعتبر واحة سيوة إحدى الواحات المصرية الواقعة في صحراء مصر الغربية، والتي كانت تابعة إداريًا إلى مديرية البحيرة منذ قيام محمد على بإعادتها إلى السيادة المصرية عام ١٨٢٠م، ورغم كونها أرض مصرية إلا أن من يزورها لأول مرة يشعر أنه لم يعد في أي بقعة من أرض مصر، فهي تختلف اختلافا كبيراً عن ما عرفناه وشاهدناه في وادي النيل وكذلك في صعيد مصر، خاصة من حيث لغة أهلها والعلاقة بينهم، وطرازهم الملبسي، فضلا عن بعض عاداتهم وتقاليدهم، يرجع ذلك لبعدها في أقصى غرب مصر هذا البعد الذي منحها عزلة نسبية عن جيرانها؛ لذا سعى الباحث من خلال تلك الورقة البحثية الوقوف على كل ما يتعلق بأصل سكان سيوة ولغتهم وعددهم، وكذلك التعرف على العلاقة بين السكان وبعضهم البعض، وبينهم وبين من يزور الواحة سواء من العرب أو من الأجانب، إلى جانب التعرف على الهيكل السكاني لتلك الجماعة القبلية.

حيث يتناول هذا البحث الجوانب المرتبطة بسكان واحة سيوة خلال عصر الأسرة العلوية(١٨٠٥ - ١٩٥٢) وتشمل: أصل السكان وأشهر عوائلهم وأصل اللهجة الأمازيغية-التي شاعت بينهم- والتي إنفرد بها سكان واحة سيوة دون باقي أقاليم مصر، تلك اللهجة التي تتشابه مع لغة بربر شمال أفريقيا، إلى جانب تعداد سكان الواحة وفق التعدادات الرسمية التي قامت بها الحكومة المصرية خلال فترة الدراسة، يليها تحليل نتائج تلك التعدادات للتعرف على الأسباب التي أدت إلى اختلال أعداد السكان في بعض الفترات، ولا يمكن أن نغفل العلاقات بين السكان وبعضهم البعض، لكونها من الأمور الهامة التي أثرت بصورة واضحة في الكثير من الأحداث التي جرت على أرض الواحة، ثم تناول الفصل الهيكل السكاني في الواحة والذي يتشابه في شكله الخارجي مع هيكل أي مجتمع قبلي، إلا أنه في داخله له طابعه الخاص المميز.

**الكلمات المفتاحية: واحة سيوة – السكان – اللهجة الأمازيغية – تعداد السكان.**

## The Origin and dialect of the inhabitants of Siwa Oasis

**Prof.Dr.Merfat Asad Ata Allah Prof.Dr.Mohamed Gaber Elmaghrabe**

**Dr.Mohamed Fawzy Rahel Dr.Mahmoud Kamed Abd Elkafy**

**Eman Mohamed Tawfik**

**Abstract**

Siwa Oasis is considered one of the Egyptian oasis located in the Western Desert of Egypt, which was administratively affiliated to the Buhaira Governorate since "Muhammad Ali" returned it to Egyptian sovereignty in 1820 AD, and despite being an Egyptian land, whoever visits it for the first time feels that he is no longer in any part of the land of Egypt it differs greatly from what we are used to in the Nile Valley as well as in Upper Egypt, especially in terms of the language of its people, the relationship between them, and their style of clothing, as well. From some of their customs and traditions. This is

◆ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس قسم العلوم الإجتماعية – كلية التربية – جامعة الإسكندرية.

◆ أستاذ التاريخ اليوناني والروماني والقائم بأعمال عميد كلية الآثار واللغات – جامعة مطروح.

◆ مدرس التاريخ الإسلامي – قسم العلوم الإجتماعية – كلية التربية – جامعة مطروح.

◆ مدرس التاريخ الإسلامي – قسم العلوم الإجتماعية –كلية التربية – جامعة مطروح.

◆ معيدة التاريخ الحديث والمعاصر – قسم العلوم الإجتماعية – كلية التربية – جامعة مطروح.

due to its remoteness in the far west of Egypt, which gave it relative isolation from its neighbors. Therefore, the researcher sought, through this research, to find out everything related to the origin of the inhabitants of Siwa, their language and theirs, as well as to identify the relationship between the residents and each other, and between them and those who visit the Oasis, whether Arabs or foreigners, in addition to identifying the population structure of that tribal group.

Where this research deals with a number of aspects related to the population of Siwa Oasis during the era of the Alawite family, including: the origin of the population and the most famous of their families, and the origin of the Amazigh language which was spread among them, and which was unique to the inhabitants of Siwa Oasis without the rest of the regions. Egypt, that language that is similar to the Berir language of North Africa, in addition to the census of the population of the oasis according to the official censuses carried out by the Egyptian government during the study period, followed by an analysis of the results of those censuses to identify the reasons that led to the imbalance of population numbers in some periods, and it is not possible to ignore the relations between the population and each other, as it is one of the important matters that clearly affected many of the events that took place on the land of the oasis, then the chapter deals with the population structure in the oasis, which is similar in its external from the structure of any tribal society, but inside it has its own distinctive character.

**Keywords: Siwa Oasis – population – Amazigh language – population census.**

## أولًا: أصل السكان ولهجتهم :

من الضرورة بمكان دراسة أصل سكان سيوة عند تناول الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في الواحة، باعتبار أن المجتمع يتكون من هؤلاء السكان اللذين يتفاعلون مع أرض الواحة متأثرين بالعادات والتقاليد المتوارثة فتظهر الأنشطة الاقتصادية المختلفة. ومهما يكن من أمر لم نجد أي ذكر في المصادر القديمة عن أصل ولهجة أهل واحة سيوة، إلا عند المؤرخ اليوناني "هيرودوت **Herodotus**"(٤٨٤- ٤٢٥ ق.م)، والذي ذكر أنهم مجموعة من المصريين والإثيوبيين يتحدثون لهجة هي مزيج بين لهجة الدولتين، والدليل على ذلك أن عبادة الإله آمون كانت منتشرة في واحة سيوة( **محمد صقر، ١٩٨٧، ١٣٦، Herodotus.II.42**).

والسكان الأصليون لواحة سيوة هم فرعًا من إحدى قبائل "زناتة" والذين اختلطوا بمرور الزمن ببعض البدو من قبائل أخرى أهمها ليبيا وبدو شمال أفريقيا، ويرجع ذلك إلى كون سيوة في العصور الوسطى محطة هامة من محطات القوافل، وسوقا لتجارة الرقيق، وهذا يفسر وجود أثر الاختلاط بالعنصر الزنجي في ملامح بعض السيويين (**عبد اللطيف واكد، ١٩٥٦ ، ٦٢، حسام محسب، ١٩٧٢، ١١٥**). ونلاحظ أن قبيلة "ظناين" التي تسكن سيوة ربما هي تحوير لاسم قبيلة "زناتة" التي تسكن ليبيا وشمال أفريقيا والتي تتحدث بنفس لهجة سكان سيوة(**الهلال، ١٩١٢، ٣٤٣، عبد العزيز الدميري، ٢٠١٦، ٧١**).

بينما أهل سيوة اليوم يتحدثون بلهجة من اللهجات الشمال إفريقية القديمة وهي "الأمازيغية Amazegh" أو ما يطلق عليها المصريين اللهجة السيوية (**Basset, R. 1894.6**).

ولقد قام الباحث الإنجليزي "أوريك باتس Oric Bates" بدراسة تاريخ الليبيين الشرقيين القدماء، وخصص فصلا لدراسة لغة البربر الحاليين ومن بينها لهجة أهل سيوة، كما قام بإجراء مقارنة بين كلمات في اللهجة الأمازيغية مع كلمات في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) وذلك في النطق والمعنى، وتوصل إلى نتائج هامة وهي أن هناك علاقة كبيرة بين اللغتين، وأن اللهجات الموجودة في شمال إفريقيا والمعروفة باللهجة الأمازيغية والمشابهة للهيروغليفية قد بقيت في العديد من الأماكن ومنها سيوة، وهذا دليل على وجود عنصر ليبي في

لغة المصريين القدماء، ويرجع ذلك لاختلاط الليبيين بالمصريين في جميع ربوع مصر بما فيها الواحات(Bates, O, 1914, 81 -84).

حيث نلاحظ أن لهجة أهل سيوة حاليًا تتشابه مع لغة البربر في شمال إفريقيا، خاصة في واحة أوجلة الليبية بحكم قربها من واحة سيوة حيث عرفت لهجة هؤلاء القوم باسم اللهجة الأمازيغية، وهذا يدل على أن جماعة من البربر وفدوا إلى الواحة واستعمروها ونشروا بها لغتهم وعاداتهم.(**عبد الله بازينة، ٢٠١٠، ١٠٢**)، كما أن هناك جماعة عرفت قديمًا باسم الليبيو- مصريين وهذا دليل واضح على تمازج الشعبين الليبي والمصري ويرجع ذلك إلى قرب الجوار وقوة الاتصال بين ليبيا القديمة ومصر (Bates, O, 1914, 85)

و تنقسم لغة البربر في شمال أفريقيا إلى عدة لهجات محلية يصل عددها إلى حوالي ثلاثمائة ومعظمها منطوق غير مكتوب، وتنقسم لهجات البربر إلى لهجات رئيسية منها: "تمازغت Tmazeght"، "شالحية Shaleh"، "زناتية Zanati" والتي تنقسم بدورها إلى عدة لهجات أهمها لهجة سيوة أو "تسيوت Tsiwit": وهي التي يتحدث بها سكان واحة سيوة وسكان جبال أوروس بالجزائر وبعض الأقاليم الليبية (Walker, W, 1921, 14-15).

وإلى جانب جماعات البربر يوجد جماعات من العرب والمصريين والسودانيين وغيرهم؛ ويرجع ذلك إلى أنه بعد فتح العرب لواحة سيوة، وأيضًا حين ظهرت بها الطريقة السنوسية عام ١٨٣٨م التي انتشرت في شمال ووسط أفريقيا خاصة دول المغرب العربي، فكانت القوافل تأتي إلى الواحة من المغرب وليبيا وبلاد السودان ونيجيريا لأخذ بركة السيد السنوسي الكبير، فاستقر عدد كبير من أتباعه ومريديه بالواحة، بالإضافة إلى عدد كبير من الخدم الذين كانت القوافل التجارية تجلبهم معها من وسط أفريقيا والسودان(**رفعت الجوهري، ١٩٤٦، ٢٦**).

أما اللغة العربية فقد وصلت إلى الواحة مع دخول الإسلام، ولكنها ظلت لغة القرآن الكريم فقط، فلا يتحدث بها السكان بل يتحدثون بلهجتهم الأمازيغية، وظل الوضع كذلك حتى دخلها جيش محمد على عام ١٨٢٠م، فانتشرت اللغة العربية في الواحة مع دخول الموظفين والمهندسين والعاملين القادمين من وادي النيل لتولي الأعمال الإدارية في الواحة أو تنفيذ بعض المشروعات الإصلاحية فأصبح السكان مع مرور الوقت وانتشار التعليم ثنائيو اللغة، حيث يمكن للجميع تقريبًا التحدث باللهجة السيوية والعربية، باستثناء حالات قليلة لكبار السن من الرجال و النساء وكذلك الأطفال دون سن السادسة الذين يتحدثون اللهجة السيوية فقط (Stroomer, H, 2016,18)

## ثانيًا: عائلات واحة سيوة والوافدون عليها:

### أ- عائلات الواحة:

أثناء العصور الوسطى تعرض أهل واحة سيوة لاعتداءات مستمرة من البدو عرب وبربر ما بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلاديين، مما أدى إلى تضاؤل عدد سكان الواحة في تلك الفترة إلى أربعين رجلا وهم من أسسوا مدينة سيوة القديمة"شالي"(**أحمد فخري،١٩٧٣، ٣٩**)، وهؤلاء الرجال كانوا ينتمون إلى سبع قبائل وهي: العدادسة، الظناين، الحدادين، أولاد موسى، السراحنة، الشحايم، البعاونة.

وتلك القبائل السبع انقسمت إلى: شرقيين( الظناين - العدادسة - الحدادين)، وغربيين ( أولاد موسى - السراحنه - الشحايم - البعاونة)(**حسام محسب، ١٩٧٢، ١١٧، عثمان الأمير، ٢٠٢٠، ٦٥**).

وبمرور الزمن تكاثرت هذه القبائل السبع وازدادت أعدادها وتفرع منها عدة عائلات أخرى وهي: العدادسة والتي تفرع منها:الحمودات والشرامطة والجواسيس، الظناين والتي تفرع منها: الحمادات والعوران والعوينات والهبيرات، الحدادين والتي تفرع منها: المخايف والزعيقات والمتانين أو العساكرة، البعاونة والتي تفرع منها: السماين والكشارنة، الشحايم والتي تفرع منها:

الرواجح والحوايطة، أما القبائل الأخرى فلم يتفرع منها عائلات كبرى(**حسام محسب، ١٩٧٢،١١٧، أحمد فخري، ١٩٧٣، سوزان السعيد،٢٠٠٧ ، ١٥، ٤٣**).

**ب- الوافدين على الواحة:**

وليست كل هذه الكثرة من نسل الأربعين رجلًا فقط، بل أن بعض هذه القبائل قد ضم لنفسه عدد من الوافدين خاصة من بلاد المغرب العربي ووسط أفريقيا وجميع ربوع مصر؛ وذلك بهدف أن يزيدوا من أفراد قبيلتهم ويزدادوا بهم قوة تساعدهم أمام أي عدوان خارجي،كذلك رغبة كل قبيلة في أن تصبح الأكثر عددًا من غيرهاا مما يمنحها الفخر والعزة والسيطرة. فكان لكل وافد حق الإقامة بينهم بشرط أن ينضوي تحت لواء إحدى القبائل السبع، واختلط الوافدين مع السكان الأصلين وكونوا العائلات المنحدرة من كل قبيلة(**عبد الفتاح رفعت، ١٩٠٣، ٢٧**).

وهؤلاء الوافدين انقسموا إلى ثلاثة أنواع فمنهم من لا يرث ولا يورَث أي قبيلة؛ وهؤلاء هم جماعة من الوافدين للعيش بالواحة ولكنهم لديهم من الثراء والقوة ما جعلهم يرفضون الإنضمام تحت لواء أي قبيلة من قبائل الواحة، فهم ليسوا في حاجة لحماية القبائل الأخرى بل يعتمدون على أنفسهم وعلى رجالهم فقط للحفاظ على وجودهم فأصبحوا هم قوة بذاتها، وهؤلاء تسعى جميع القبائل لضمهم إليهم(**عبد الفتاح رفعت، ١٩٠٣، ٢٨، عثمان الأمير،٢٠٢٠، ٦٤**). أما النوع الثاني من الوافدين فهو يورث ولا يرث والذين ينضمون إلى إحدى القبائل ويخضعون لإرادة شيخها الذي له الحق في التصرف في أمورهم، وهؤلاء لا ينضمون تحت لواء أي قبيلة إلا بعد التأكد من حسن أخلاقهم وطيب أصلهم ومنبتهم، ويكون عليهم نفس الواجبات ولهم نفس حقوق أفراد القبيلة التي ينتمون إليها فيما عدا أن يرثوا شيخهم أو الشخص النازلين عليه لأنهم ليسوا من نسله، ولا يحق لهم التصرف في أي أمر دون أخذ أذن شيخ القبيلة الذي يقعون تحت حمايته، فإذا أراد أحدهم أن يتزوج فيجب عليه أن يختار إحدى فتيات القبيلة التي ينتمي إليها، وفي حالة عدم وجود فتاة تناسبه فيكون على صاحبه أن يجد له فتاة من قبيلة أخرى ليتزوجها. واذا مات الرجل الذي يقعون تحت حمايته، فليس لهم الحق في أن يرثوه، أما إذا مات أحد الوافدين فلصاحبه الحق في أن يستولي على كل ممتلكاته ما لم يكن له أبناء أو أقارب يرثوه(**Belgrave,D,1923,264، محمد غنيم، ٢٠١٤، ٣٣-٣٥**).

كما أشارت بعض المصادر والمراجع إلى نوع ثالث من هؤلاء الوافدين يرثه بيت المال: وهم الغرباء الذين وافتهم المنية قبل الانضمام إلى أي قبيلة، أو هم الأفراد الذين اشتهروا بسوء الخلق أو ضعة الأصل فرفضت جميع القبائل ضمهم، أو هم من العبيد السود، والعبيد ليس لهم الحق في حمل اسم أي قبيلة، ويستولي بيت المال على جميع أملاكهم، ولا يحق لبيت المال التصرف في أي من تلك الممتلكات إلا بعد مرور ثلاث سنوات على وفاة صاحبها وذلك بعد التأكد من عدم وجود شخص له أحقية في هذا الإرث، وهذه الأموال تخصص للإنفاق على الفقراء والمحتاجين وإخراج الصدقات(**عبد اللطيف واكد، ١٩٥٦، ٦٣**).

## ثالثًا: تعداد السكان:

لا شك أن هناك محاولات عدة قد بُذلت لتقدير عدد سكان مصر على مر العصور؛ وربما كان معظم هذه التقديرات غير دقيقة، ذلك أن بعضها كان مبنيًا على التقدير الذاتي لبعض الأشخاص، والبعض الآخر مبنيًا على مقدار الضرائب التي تجبى من السكان، وأحيانًا أخرى يبنى التقدير على ما تنبته الأرض من غلات زراعية بصفة عامة، ومن القمح بصفة خاصة. وهذه الأسس التي بنيت عليها تقديرات عدد السكان موضع للشك وكذلك عرضة لمبالغة المؤرخين(**محمد عبد الحكيم، ١٩٧٤، ٢٠**). أما خلال القرن التاسع عشر فقد حصلنا على بيانات أكثر دقة عن أعداد السكان، ساعدتنا في تتبع عدد السكان في واحة سيوة خلال الفترة الزمنية (١٨٢٠- ١٩٥٢).

- **تعداد ١٨٨٢م:**

يعد تعداد ١٨٨٢م هو أول تعداد للسكان بالمعني الحرفي لكلمة تعداد، وقد كان لمصر الأسبقية الفعلية بين الدول العربية في هذا الأمر(**محمد عبد الحكيم، ١٩٧٤، ٣٣-٣٤**).

وكانت واحة سيوة في تلك الفترة قسم من أقسام محافظة الصحراء الغربية والتي كانت تضم خمسة أقسام وهي: قسم السلوم، قسم براني، قسم سيوة، مراكز العامرية والحمام وبرج العرب ووادي النطرون، قسم مرسى مطروح ومركز الضبعة.

وبمراجعة بيانات هذا التعداد لاحظت الباحثة اقتصار تلك البيانات على ذكر عدد سكان الواحة من ذكور وإناث، وكذلك خلوها من الأجانب. وكان عدد سكان واحة سيوة ٣٣٤٦ نسمة، منقسمين إلى: ١٤١٤من الذكور، ١٩٣٢ من الإناث. بينما جملة سكان محافظة الصحراء الغربية ٣٣٨٠نسمة وفقا لهذا التعداد، وجملة سكان مصر ٦٤٦٩٧١٦نسمة(**تعداد السكان في القطر المصري، ١٨٨٢، ٢٦٠**).

وبالرغم من أهمية هذا التعداد كخطوة أولى قامت بها الحكومة، إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليه والأخذ بما جاء فيه على أنه حقيقة مسلم بها لعدة أسباب منها:

أن هذا التعداد لم يقم على أسس علمية دقيقة ومنظمة كالتعدادات التي تلته؛ ذلك كونه أول خطوة فعلية منظمة قامت بها الدولة لإحصاء الأنفس، ومن ثم فهو يفتقر عامل الخبرة الفنية في تطبيق أدوات التعداد تطبيقا فعالا، مما جعله ضعيفا وعشوائيًا إلى حد ما، فضلا عن إغفاله لبعض المراكز والأقسام(**السيد صبري،١٩٣٥، ٣**).

كما أن حالة البلاد نفسها من انتشار الفوضى والإضطرابات وعدم استقرار الأمن واختلال نظام الحكومة؛ بسبب ما شهدته البلاد من قيام الثورة العرابية(١٨٧٩- ١٨٨٢)، وتعرض مصر للاحتلال البريطاني(١٨٨٢- ١٩٥٦)، كل هذه الأمور كان من شأنها أن تؤثر تأثيرًا سلبيًا على دقة بيانات التعداد، خاصةً وأن حالة الأهالي النفسية كانت غير مؤهلة لإستقبال الموظفين المختصين بهذا الأمر، حتى أن بعض الأهالى اعتقدوا أن هدف هؤلاء هو القيام بتجنيدهم كما حدث زمن محمد علي(**محمد عبد الحكيم، ١٩٧٤، ٣٤**).

أن اختيار الحكومة لعام ١٨٨٢م للقيام بتعداد منظم، يمثل عيبًا ونقصًا واضحًا من صناع القرار ذلك للأسباب التي سبق ذكرها، حتى أن من قاموا بعمله فعليًا أقروا بأن هذا التعداد لا قيمة له في نظر الأخصائيين(**السيد صبري،١٩٣٥، ٣**).

كما أن هناك سبب آخر يجعلنا غير مطمئنين لنتائج هذا التعداد، وهو نشوب النيران في بعض المستندات الخاصة بجمع بيانات التعداد، كذلك أن إدارة الإحصاء تم إلغائها بعد الاحتلال مباشرةً، وتأخر نشر نتائج هذا التعداد لفترة زمنية طويلة(**محمد عبد الحكيم،١٩٧٤، ٧**).

بالإضافة إلى قلة البيانات التي أتاحها هذا التعداد في كافة جوانب الحياة الأخرى، حيث أقتصر على بعض البيانات الديمغرافية للسكان مثل: إحصاء عدد الذكور والإناث وإجمالي عدد السكان، وعدد الأجانب من الذكور والإناث فقط، حيث أفاد هذا التعداد خلو الواحة من العناصر الأجنبية، وأغفل باقي الخصائص السكانية التي ذكرتها التعدادات التي تلته مثل عدد القرى والمنازل، ديانات السكان، الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية.. وغيرها، مما يجعل إمكانية المقارنة بين نتائج تعداد ١٨٨٢م وما يليه أمرًا صعبًا؛ لإفتقاره لمعظم عناصر المقارنة، وهذا الأمر أيضًا يؤكد على مدى ضعفه وصعوبة الإعتماد المطلق عليه(**محمد عبد الحكيم، ١٩٧٤، ٧**).

- **تعداد ١٨٩٧:**

وهو ثان تعداد أجرته الحكومة المصرية، وقد بلغ عدد سكان مصر وفق نتائج هذا التعداد ٩٧١٤٥٢٥ نسمة، وجدير بالذكر أن هذا التعداد قدم لنا إلى حد كبير صورة واضحة عن طبيعة الأوضاع السكانية في مصر في أواخر القرن التاسع عشر؛ ذلك أنه يعد أول تعداد يتم فيه تطبيق الأدوات الفنية والإحصائية الخاصة بإجراء التعدادات مثل الاستبانات والتعدادات المنزلية،

للحصول على بيانات سكانية دقيقة معتمدة على الطرق الإحصائية الحديثة في ذلك الوقت، وذلك وفقا لما ورد في مقدمة تعداد ١٩٠٧ م (**سكان القطر المصري، ١٩٠٧، ٤**).

وكان عدد سكان واحة سيوة وفق هذا التعداد هو٥٢٠٠ نسمة، منقسمين إلى: ٣٠٠٠ من الذكور، ٢٢٠٠ من الإناث، ويعني ذلك أن عدد السكان قد زاد في المدة من ١٨٨٢م حتى ١٨٩٧م بمقدار ١٨٥٤نسمة، وذلك في خمسة عشر عامًا، بمعدل زيادة سنوية ٣.٧٪، وحتى ذلك التاريخ كانت الواحة تخلو من الأجانب المقيمين بها، كما أنها تخلو من وجود أي ديانة أخرى غير الإسلام(**السكان في القطر المصري، ١٩٠٧، ١٤٦**).

- **تعداد ١٩٠٧م:**

ولقد بلغ عدد سكان واحة سيوة وفق نتائج هذا التعداد ٣٨٨٤ نسمة، منقسمين إلى: ١٩٥٣ نسمة من الذكور، ١٩٣١ نسمة من الإناث. نلاحظ من هذا التعداد الإنخفاض الشديد في عدد سكان الواحة خلال عشر سنوات منذ آخر تعداد قامت به الحكومة المصرية عام ١٨٩٧م حيث بلغ عدد سكان الواحة كما سبق أن ذكرنا ٥٢٠٠ نسمة، أي أن عدد السكان قد انخفض بمقدار ١٣١٦ نسمة، بمعدل انخفاض ٢٥.٣٪ من جملة سكان الواحة، حيث انخفض عدد الذكور بمعدل ٣٥٪، بينما انخفض عدد الإناث بمعدل ١٢٪، وهي نسب خطيرة بالمقارنة بجملة سكان الواحة، كما نلاحظ من خلال نتائج هذا التعداد أن واحة سيوة هى الجزء الوحيد من أرض مصر الذي شهد تناقصًا في عدد سكانه منذ تعداد ١٨٩٧م(**سكان القطر المصري، ١٩٠٧، ١٣٦**).

ويرجع انخفاض عدد السكان بهذا المعدل الخطير خلال عشر سنوات فقط، إلى عدة أسباب أهمها: قيام بعض سكان الواحة من الشرقيين بتدبير مكيدة ضد الشيخ السنوسي "محمد المهدي السنوسي" (١٨٤٤- ١٩٠٢) بقيادة "محمد السيد" ابن "السيد أبي ذراع"(١٨٧٠-١٨٩٣م) شيخ المدنيين وعمدة الشرقيين المعين من قِبل الحكومة المصرية، بعد وفاة والده ورفض الحكومة تعيينه عمدة على الجانب الشرقي، فقام بنشر الشائعات والأكاذيب في جميع أنحاء الواحة، بأن الحكومة المصرية تعد حملة للقضاء على الشيخ السنوسي الكبير، وكذلك إبعاد أتباعه عن واحة سيوة، وعندما بلغت تلك الأنباء مسامع الشيخ السنوسي سارع بجمع جميع أتباعه وخدمه خارج واحة سيوة إلى واحة الكفرة بطرابلس، وكان عدد الخدم فقط يقدر بنحو ٥٠٠ نسمة من سكان الواحة. ولقد كان لرحيل السنوسي وأتباعه عن الواحة أثر كبير في انخفاض أعداد السكان بها(**رفعت الجوهري، ١٩٤٦، ٩٧-٩٨**)، إلى جانب إزدياد حدة الصراعات المسلحة بين الشرقيين والغربيين، وقيام كل فريق بالسطو المسلح على حدائق وممتلكات الفريق الآخر، الأمر الذي راح ضحيته عدد كبير من رجال الواحة، ويرجع السبب الرئيسي في ذلك إلى غياب الأمن، وعدم قدرة موظفي الحكومة على السيطرة على الأوضاع وتنظيم أمور الواحة وتحقيق الأمن والاستقرار بها. لذا نلاحظ من بيانات التعداد انخفاض معدل النمو السكاني من الذكور عن الإناث، بسبب كثرة الضحايا من الذكور في الصراعات والحروب الداخلية التي نشبت بين السكان وبعضهم البعض، ففي عام ١٩٠٠م نشب صراع كبير بين الفريقين راح ضحيته ٤٠ رجل من الشرقيين، و٤٥- ٥٠ رجل من الغربيين(**رفعت الجوهري، ١٩٤٦، ٩٨-١٠١**)، بالإضافة إلى انتشار الأمراض والأوبئة بين السكان خاصة الملاريا والحمى والحصبة والجدري وأمراض العيون، حيث بلغت نسبة العمي والعور وفق بيانات هذا التعداد ١٥٦ حالة ، أي ما يقرب من ٤٪ من جملة سكان الوحة، والتي كانت تؤدي إلى زيادة معدل وفيات سكان الواحة خاصة الأطفال لضعف مناعتهم، والنساء لقلة تعرضهم للشمس على عكس الرجال فضلا عن منعهن من زيارة الأطباء في الواحة( **عبد الفتاح رفعت، ١٩٠٣، ١٥**)

- **تعداد ١٩١٧:**

أما تعداد عام ١٩١٧م فلم يشمل واحة سيوة، ربما لعدم استقرار أوضاع البلاد في تلك الفترة لمرور العالم بأزمة عظمى وهي الحرب العالمية الأولى(١٩١٤-١٩١٨)، والتي بلغت محافظة الغرب(محافظة مطروح حاليًا) عام ١٩١٥، كما وصلت إلى واحة سيوة أيضًا(**سكان في القطر المصري، ١٩١٧، ٢٦٠**).

- **تعداد ١٩٢٧:**

لقد مر على واحة سيوة عشرون عامًا منذ قامت الحكومة المصرية بآخر تعداد لسكان الواحة، ولقد بلغ عدد سكان الواحة وفق نتائج هذا التعداد ٣٨٠٣ نسمة، منقسمين إلى: ٢٠٧٦ نسمة من الذكور، ١٧٢٧ نسمة من الإناث، من خلال بيانات هذا التعداد نلاحظ استمرار التناقص في عدد السكان، حيث قلت أعداد سكان الواحة منذ عام ١٩٠٧م بمقدار ٨٩ نسمة، وهذا أمر لا يمكن الإستهانة به، حيث تشهد معظم دول العالم زيادة مطردة في أعداد سكانها بمرور الزمن، بينما الحال في واحة سيوة على النقيض تمامًا حيث تشهد الواحة تناقصًا مستمرًا في أعداد سكانها، وهذا يدل على إرتفاع معدل الوفيات في الواحة بصورة تغلب معدلات المواليد (**سكان القطر المصري، ١٩٢٧**، ٥٨).

أما عن أسباب هذا التناقص المستمر في أعداد السكان فيرجع إلى: انتشار الأمراض والأوبئة: والذي يعد من أهم أسباب ارتفاع معدلات الوفيات في الواحة وبالتالي انخفاض أعداد سكانها؛ ذلك يرجع إلى انتشار الجهل بين السكان، وكذلك بقاء الواحة لفترة زمنية طويلة بدون رعاية صحية، وهذا أدى إلى اعتماد السكان في علاج أمراضهم على الطب الشعبي والعلاج بالزيوت والأعشاب، وأصبح الحلاق والداية بمثابة أطباء الواحة، فضلا عن جهل أهل الواحة بأساليب التهوية السليمة وبخطورة إلقاء القمامة أمام المنازل، وكذلك بخطورة البرك والمستنقعات على صحتهم(**عبد اللطيف واكد، ١٩٥٦، ٢٦٢**). فمنذ أوائل القرن العشرين ظهر في الواحة مرض الملاريا القاتل الذي يسبب تضخم الطحال، والذي انتشر بسرعة كبيرة في الواحة بسبب ملائمة مناخها لنمو البكتريا، حيث تنتشر في سيوة البرك والمستنقعات والبحيرات والتي تعد بمثابة مسرح لنمو أنواع عديدة من الفطريات والبكتريا الناقلة للأمراض، فظهر بها مرض الملاريا الذي يصيب الناس من خلال البعوض الذي يحمل المرض خاصة في موسم البلح، ولقد أثر ذلك على نسبة الوفيات في الواحة، حيث سجلت معدلات المواليد والوفيات في الواحة في الأعوام ١٩٢٤-١٩٢٨ كالتالي:

**جدول (١) معدلات المواليد والوفيات في واحة سيوة عامي (١٩٢٥-١٩٢٨)**

| السنوات | المواليد | الوفيات |
|---|---|---|
| ١٩٢٤م | ١١٢ | ٧٨ |
| ١٩٢٥م | ١٣٧ | ٨٣ |
| ١٩٢٦م | ١٢٤ | ١٢٠ |
| ١٩٢٧م | ١٤٢ | ١٦١ |
| ١٩٢٨م | ١٨٠ | ١٠١ |

(**حسين الرفاعي، ١٩٣٢، ٤١**).

وعندما علمت الحكومة المصرية بهذا الأمر ومدى خطورته على أهل الواحة، قامت بإرسال بعثة طبية لدراسة الأوضاع الصحية بالواحة ، ودراسة مسببات هذا الوباء الخطير، وكذلك أخذ عينة من المصابين لتحليلها وإيجاد علاج لها، حيث بدأت مصلحة الصحة مقاومة هذا المرض منذ عام ١٩١٩م، حيث بلغت نسبة تضخم الطحال في هذا العام ٥٢.٧٪ من جملة سكان الواحة، وبالفعل قامت تلك البعثة بوضع نظامًا حاسمًا للقضاء على البعوض الناقل للمرض، وذلك من خلال وضع أنواع معينة من الأسماك التي تتغذى على بويضات البعوض التي تطفو على سطح المياه، وكذلك على الفطريات والبكتريا الموجودة بالمياه في الآبار والعيون( **Stanley, C, 1912, 304**)، كما قامت بردم البرك والمستنقعات، وحفر مصارف جديدة لتصريف مياه الري ومياه الآبار والعيون الراكدة، الأمر الذى كان له مردود سريع وآثار إيجابية على صحة السكان، حيث أثبتت الإحصائيات أنه في عام ١٩٢١م بلغت نسبة تضخم الطحال لدى سكان الواحة ٤٠.٥٪ من جملة السكان وذلك في خلال عامين فقط من بداية تنفيذ المشروعات الصحية للدولة، وجدير بالذكر أن هذه الإجراءات قد كلفت الحكومة المصرية ٦٠٠ جنيه، ولكن هذه الإجراءات لم

تتم سوى على نطاق ضيق وهي مدينة سيوة نفسها فقط دون باقي أجزاء الواحة، يرجع ذلك إلى كثرة التكاليف في ذلك الوقت( **ريم الغزل، ٢٠١٩، ٢٢٦**).

فضلا عن رفض عدد كبير من سكان الواحة في تلك الفترة أخذ التطعيمات الوقائية التي فرضتها مصلحة الصحة على جميع سكان مصر خاصة التطعيم ضد مرض الجدري؛ يرجع ذلك - كما سبق ذكره- إلى جهل السكان، والذين كانوا يخافون الأطباء ويرفضون تناول العقاقير بل ويستبدلونها ببعض الأعشاب المحلية التي يصفها لهم الحلاق أو بالوصفات التي أخذوها عن أجدادهم( **الهلال، ١٩٥٢، ٣٢٦، ريم الغزل، ٢٠١٩، ٢٢٦**).

كما نلاحظ من بيانات هذا التعداد إنخفاض أعداد الإناث من سكان الواحة بصورة واضحة، ويرجع ذلك لعدة أسباب أهمها: الزواج المبكر للفتيات في سن التاسعة والعاشرة أى قبل أن تتم الفتاة نموها الطبيعي، الأمر الذي راح ضحيته عدد كبير من فتيات الواحة. كذلك رفض الأزواج عرض نسائهن على الأطباء في حالة المرض، بل أن بعض الرجال دون مبالغة يفضلون موت زوجاتهن عن عرضهن على الطبيب(**عبد اللطيف واكد، ١٩٥٦، ٢٦٣**).

كما سجلت بيانات هذا التعداد ولأول مرة وجود أجانب مقيمين في واحة سيوة، وكان عددهم ٧ أفراد من جملة سكان الواحة، خمسة منهم فرنسيون، وإثنان إيطاليون أحدهم ذكر والأخرى أنثى، والمرجح أنهم استقروا في الواحة بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى، كما سجل التعداد أيضًا وجود ١٣ نسمة من السكان من الأقباط لأول مرة في سيوة التي كانت دائمًا ما تخلو من غير المسلمين(**سكان القطر المصري، ١٩٢٧**، ٥٨).

- **تعداد ١٩٣٧م:**

لقد بلغ عدد سكان الواحة وفق نتائج هذا التعداد ٤٠٤٤ نسمة، بمعدل زيادة سنوية ٠.٧٪، منقسمين إلى ٢٠٦٧ نسمة من الذكور، ١٩٧٧ نسمة من الإناث(**سكان القطر المصري، ١٩٣٧، ١٣٦**).

نلاحظ من نتائج تعداد ١٩٣٧م زيادة عدد سكان الواحة بمقدار ٢٥٠ نسمة تقريبًا، وعلى الرغم من قلة معدل الزيادة السنوية للسكان، إلا أنه مؤشر واضح لزيادة معدلات المواليد عن الوفيات، على عكس ما كان يحدث في السنوات السابقة، حيث بلغت معدلات المواليد والوفيات منذ عام ١٩٣٠-١٩٣٦ كالتالي:

**جدول (٢) معدلات المواليد والوفيات في واحة سيوة عامي (١٩٣٠-١٩٣٦)**

| السنوات | المواليد | الوفيات |
|---|---|---|
| ١٩٣٠-١٩٣١ | ١٥٤ | ١٠١ |
| ١٩٣٣-١٩٣٤ | ١٥٣ | ١١٣ |
| ١٩٣٥-١٩٣٦ | ١٣٦ | ١٠٧ |

**(محمود طه، ١٩٥١، ٥١).**

يرجع السبب الرئيسي لهذه الزيادة إلى الجهود التي قامت بها الحكومة المصرية لإصلاح الأوضاع الصحية بواحة سيوة والقضاء على الأوبئة والأمراض المتوطنة بها، والتي بدأتها -كما تم ذكره- منذ عام ١٩١٩م، واستمرت تلك الجهود وذلك بقيام الملك " فؤاد الأول" (١٩١٧-١٩٣٦) أثناء زيارته للواحة بوضع حجر الأساس للمستشفى عام ١٩٢٨م، والذي تم افتتاحه رسميًا عام ١٩٣٠ م، كما أرسل الملك عددًا من الأطباء الأكفاء للعمل به، مما كان له أثر كبير في مساعدة أهالي الواحة على تخفيف آلامهم وشفاء أمراضهم( **ريم الغزل، ٢٠١٩، ٢٢٦**)، ولم يكن دور الأطباء قاصرًا على علاج المرضى في المشفى فقط، بل أنهم أيضًا كانوا يطوفون في جميع أنحاء الواحة مرة كل أسبوع لمراقبة تنفيذ السكان لتعليمات هيئة الصحة من حيث: عدم إلقاء القمامة في الشوارع وبالقرب من المنازل، ومن يجدوه يفعل ذلك يقوم الأطباء بالإبلاغ عنه ويدفع غرامة جراء هذا الفعل، وكذلك من حيث المحافظة على التهوية السليمة للمنازل، كما أنهم كانوا مسؤولين أيضًا عن تطعيم سكان الواحة ضد الأمرض والأوبئة المتوطنة، **فضلًا** عن توزيع بعض العقاقير على السكان المصابين بتضخم الطحال نتيجة لإصابتهم بالملاريا(**الأهرام، ١٩٣١، ٧**).

كما بلغ عدد الأجانب بالواحة وفقاً لنتائج هذا التعداد ١٦ فرد، وزاد عدد الأقباط بها حتى بلغ ١٤ فرد من جملة سكان الواحة(**سكان القطر المصري، ١٩٣٧، ١٤٢**).

- **تعداد ١٩٤٧م:**

بلغ عدد سكان واحة سيوة وفق نتائج هذا التعداد ٣٧٦٨ نسمة، منقسمين إلى ١٩٢٨ نسمة من الذكور، ١٨٤٠ نسمة من الإناث، بمعدل زيادة سنوية -٠.٧٪ (**سكان القطر المصري، ١٩٤٧، ٢٦٠**).

نلاحظ من نتائج هذا التعداد إنخفاض معدل النمو السكاني في الواحة بصورة ملحوظة، ففي خلال عشر سنوات منذ آخر تعداد قامت به الحكومة انخفض عدد سكان الواحة بمقدار ٢٧٦ نسمة. ولكن بالنظر إلى أحوال البلاد من عدم استقرار الوضع الأمني وانتشار الفوضى بسبب مرور العالم بالحرب العالمية الثانية(١٩٣٩- ١٩٤٥)، وخوف السكان أنفسهم من مقابلة الغرباء أو الإفصاح بأى معلومات لهم، يجعلنا غير واثقين تماماً في بيانات هذا التعداد، وعلى الرغم من ذلك لا يمكننا أن نغفل تعرض واحة سيوة لبعض الأحداث التي من شأنها الإخلال بعدد السكان أهمها: انتشار بعض الأمراض والأوبئة، فعلى الرغم من الجهود العظيمة التي قامت بها الحكومة المصرية للقضاء على الأوبئة والأمراض، إلا أن الموظفين الذين عينتهم الدولة والعمال الذين أرسلتهم الحكومة المصرية للعمل في تنفيذ المشروعات الإصلاحية عانوا من الإصابة ببعض الأمراض أهمها الملاريا، ربما يرجع ذلك لحداثة وجودهم بالواحة وعدم قدرتهم على مقاومة الأمراض كأهلها، حيث أرسل هؤلاء إلى مصلحة الصحة يشكون ما ألم بهم من أمراض، ومن وفاة بعض من ذويهم، وبالفعل إستجابت الحكومة لشكواهم عام ١٩٤٤م وأرسلت مصلحة الصحة لجنة لتعقيم مياه الشرب وردم المستنقعات في الواحة، كما أرسلت بعض الأدوية لتوزيعها على الموظفين والعاملين المقيمين بالواحة(**الأهرام، ١٩٣١، ٧**).

أن واحة سيوة كانت مسرحًا مهمًا للحرب أثناء الحرب العالمية الثانية؛ ذلك لوقوعها على الحدود مع طرابلس الغرب، لذا احتلتها فرق من الحلفاء خاصة البريطانيين والأستراليين والنيوزيلنديين، ثم جاء الإيطاليون بدباباتهم وطائراتهم إلى صحراء مصر في محاولة منهم لاحتلال طرابلس، وفي أثناء ذلك قاموا بقذف واحة سيوة بالقنابل التي راح ضحيتها مائة رجل تقريباً، بعدها قاموا باحتلال الواحة(Vivian, c, 1990,709).

رغم ذلك نجد أن بيانات هذا التعداد تخبرنا بخلو الواحة تماماً من الأجانب، وأن عدد الأقباط اثنان فقط من جملة سكان الواحة(**سكان القطر المصري، ١٩٤٧، ٢٧٦**).

## وصف سكان الواحة:

يتشابه وصف أهل سيوة إلى حد كبير مع ملامح أهل المغرب العربي، حيث يتمتع معظم الرجال بقامة متوسطة أقرب إلى الطول وسواعد مفتولة قوية، وقليل منهم له جسد ضعيف، يغلب على لونهم الصفرة المائلة للإسمرار(**الهلال، ١٩٠٦/٤/١، ٤٢٧**)، لكنهم أكثر اسمرارًا من أخوانهم في وادي النيل، وبهم طائفة من سود البشرة ذلك لتزوجهم من الجواري القادمين من إفريقيا، واختلاطهم بالسودانيين، لهم أنف قصير ومستقيم وشفاه رفيعة وذقون مستطيلة وشعورهم مستقيمة تميل إلى اللون الأسود ولكنها ليست سوداء. بينما النساء قصيرات القامة أكثر سمرة من الرجال يشبهن إلى حد ما سكان وسط أفريقيا، عيونهن سوداء وشعورهن مستقيمة مائلة إلى الصفرة ويرتبون شعورهن بنفس النظام ويدهنونه بزيت الزيتون (**مجلة الشموع،١٩٨٧، ٨٢**).

أما النساء، فإن قامتهن متوسطة أقرب إلى القصر، تغلب عليهن البدانة وشحوب الوجه؛ يرجع ذلك غالبًا إلى بقائهن في المنزل طوال الوقت وندرة خروجهن، ومن ثم فهن لا يتعرضن للشمس إلا قليلا. عيونهن سوداء، ونادراً ما نجد فتاة عيونها زرقاء، يغلب على شعورهن السواد(**الهلال، ١٩١٢، ٣٤٣-٣٤٤**)

## العلاقة بين السكان وبعضهم البعض:

عندما كثرت أعداد السكان وتفرعت من القبائل عائلات ضمت سكان الواحة وغيرهم من الوافدين، أدى ذلك إلى وقوع خلافات وصراعات بين الأفراد والقبائل، الأمر الذي ترتب عليه انقسام القبائل إلى كتلتين: كتلة شرقية أتخذت من الجانب الشرقي للواحة مقراً لها، وتكونت من ثلاث قبائل كبرى وهي: الظناين، العدادسة، الحدادين، وانتقلت الأخيرة بعد ذلك إلى "أغورمي" ولكنها ظلت على تبعيتها للشرقيين. ويطلق عليهم أيضًا اسم "اللفايا" وهو تعبير يشير إلى أن صاحبه شخص حسن الخلق وطيب القلب صريح ولطيف المعشر مسالم لا يميل للإعتداء على غيره (**الهلال، ١٨٩٧، ٧٣٨ ، أحمد فخري،١٩٧٣، ٥١**). وكتلة غربية أتخذت من الجانب الغربي للواحة مقراً لها، وتكونت من أربعة قبائل وهي: أولاد موسى، السراحنة، الشحايم، البعاونة، وهذه الأخيرة انتقلت بعد ذلك إلى "أغورمي" ولكنها ظلت تابعة للغربيين. واطلق عليهم اسم "التخصيب" يشير إلى أن صاحبه شجاع وقوي قاسي القلب ولا يستسلم لغيره (**الهلال، ١٨٩٧، ٧٣٨، عبد الطيف واكد،١٩٥٦،٦٤**).

و كثيراً ما كانت تنشب صراعات عديدة بين الكتلتين والتي أطلق عليها سكان الواحة ولا زالوا يطلقون عليها اسم حروب،وقد حدثت إحدى هذه الصراعات والتي عُرفت باسم معركة "الرملة". فقد كان من الأمور المتفق عليها بين الغربيين والشرقيين هو عدم قيام أي من الكتلتين بالتدخل لتوسيع أي طريق من طرق المدينة إلا بعد موافقة رؤساء العائلات من الفريقين باعتبارهم شركاء في الواحة كلها.

فأراد الشرقيون توسيع أحد الشوارع الصغيرة التي تقود إلى حدائقهم بسبب ضيقه الشديد فرفض الغربيون توسيع هذا الطريق رفضًا باتًا لأن السلطة في تلك الفترة كانت في يد الشرقيين، ولكن الشرقيين أصروا على توسيع الطريق(**الهلال، ١٩١٢، ٣٤٤؛ حسين الرفاعي،٢٤،١٩٣٢**)، فبدأت المناوشات بين الطرفين من خلال قيامهم بإتلاف المحاصيل وتخريب حدائق بعضهم البعض أثناء الليل، فقام "مجلس الأجواد" لحل هذه المشكلة بعقد اجتماع للصلح فقبل الشرقيون الصلح لأنهم بطبيعة الحال يميلون إلى السلم والاستقرار، ولكن الغربيين رفضوا أن يتم الصلح إلا بشروطهم وهي أن يدفع الشرقيون تعويضًا ماديًا لهم عن كل ما لحق بحدائقهم من خسائر، وقبل الشرقيون دفع التعويض على الرغم من أن ما فعلوه كان ردًا على تدمير الغربيون لحدائقهم(Hohler, 1900, 65)، إلا أن هذا الموقف المتسامح قد زاد من طمع الغربيين، فادعوا أن "الزقالة الغربيين رفضوا هذا التعويض وطالبوا بضعف المبلغ، ولقد قبل الشرقيون ذلك أيضاً، فظن الغربيون أن الشرقيون خائفون منهم وأنهم أصبحوا ضعفاء، فظنوا أن الفرصة قد حانت لهم ليتولوا هم الزعامة بدلا من الشرقيين، لذلك فقد رفضوا أيضًا الاتفاق الأخير وأصروا على الحرب(**الهلال، ١٩١٢، ٣٤٤؛ عبد العزيز الدميري، ٢٠١٦، ٧٣**).

دارت المعركة وكان الشرقيون هم الأكثر قوة وشجاعة ومهارة في القتال، وانتهت المعركة بفرار الغربيين، ولكن الشرقيين لم يكتفوا بهذا الانتصار وقرروا إذلال الغربيين فهاجموا بيوتهم وأخذوا منهم بعض الأسرى لمدة ثلاثة أيام ثم أفرجوا عنهم(Hohler, 1900, 55) ولكن بعد قبولهم لأربعة شروط وهي:

الشرط الأول:ألا يقترب أحد الغربيين من القوافل التجارية المحملة بالسلع إلا بعد أن ينتهي آخر فرد من الشرقيين من شراء كل ما يلزمه، الشرط الثاني: حرمان الغربيين من التبادل التجاري مع القوافل التجارية مباشرة، بل يجب أن يتم ذلك من خلال وسيط من الشرقيين، الشرط الثالث: إذا صادف عبور أحد الشرقيين وأحد الغربيين جسراً فوق إحدى القنوات في وقت واحد فعلى الغربي أن يتراجع ويفسح الطريق للشرقي لكي يعبر أولا، ومن يخالف ذلك يعتبر معتدياً وينزل به العقاب، الشرط الرابع: لقد كان للطريف حدائق متجاورة في حيطة خميسة، فاشترط الشرقيون أنه إذا قام أحد "الزقالة" الشرقيين بالغناء أثناء عمله ثم توقف عن الغناء فلا يجوز للزقالة الغربي أن يقوم بالغناء بعده(**الهلال، ١٨٩٧، ٧٣٩؛ أحمد فخري، ١٩٧٣، ٥٦**).

وجدير بالذكر هنا هو وجود قواعد أثناء الحرب يلتزم بها الفريقين، فعندما كانت الكتلتين تقران نشوب قتال ما كان يتحتم على جميع الرجال القادرين على حمل الاسلحة المشاركة في المعركة كل حسب الفريق الذي ينتمي إليه. وعندما يأتى اليوم المحدد للمعركة كان كل فريق يقف في صف مقابل للفريق الآخر. وكانت قبيلة "الظناين" تحتل دائمًا وسط صف الشرقيين وعلى يمينهم "العدادسة" وعلى يسارهم "الحدادين"، وعلى الجانب الآخر كانت قبيلتي "السراحنة" و"الشحايم" يتوسطون الغربيين ويقفون قبالة "الظناين" وعلى يمينهم "أولاد موسى" قبالة "العدادسة" وعلى يسارهم "البعاونة" قبالة "الحدادين"(**أحمد فخري، ١٩٧٣، ٥٢**).

أما النساء فكانت بعض القبائل تسمح لنسائها بالخروج أثناء المعركة والوقوف خلف رجالهم بمسافة وإلقاء الحجارة على كل من يحاول الفرار من المعركة، وقبل انتشار استخدام الأسلحة النارية بينهم كانوا يبدأون المعركة منذ شروق الشمس حتى غروبها، فإذا لم ينهزم أي منهم يعودون إلى منازلهم ليستأنفوا القتال مع شروق شمس اليوم التالى ويستمر الوضع هكذا إلى أن يستسلم أحد الفريقين(Vivian, C, 1990, 698 ).

ويُقال أنه بعد انتشار الأسلحة النارية بين السكان، وأثناء المعركة كان كل فريق يقف في صف أمام الفريق الآخر كالمعتاد ولكن علي مسافات بعيدة، ثم تنطلق إشارة بدء إطلاق النار فيتم إطلاق النار مرة واحدة فقط ثم يتفرغ كل فريق للعناية بجرحاه Vivian, C, 1990, (698). ، ثم تنطلق إشارة إطلاق النار مرة أخرى ويستمر الوضع هكذا حتى يستسلم أي من الفريقين أو يلوذ أحدهم بالفرار من أرض المعركة. وفي كثير من الأحيان كانت تلك المعارك تسفر عن عشرات الضحايا من الفريقين ورغم ذلك بعد انتهاء المعركة يعود كلا الفريقين إلى ديارهم جيرانًا(**الهلال، ١٩٠٦، ٤٢٧، عبد اللطيف واكد، ١٩٥٦،٦٦**)

ولقد أجمعت مصادر وروايات عديدة على أنه في عام ١٨١٦م اشتد القتال بين الشرقيين والغربيين وعندما انتصر الشرقيون زاد ذلك من حقد وغضب الغربيين عليهم وأصبحوا يتحينون الفرصة للإنتقام من الشرقيين، وفي عام ١٨٢٠م ازداد ضعف شأن الغربيين في الواحة واتيحت لأحد مشايخ الغربيين وهو "علي بالي" (١٨٢٠- ١٨٣٨م) الفرصة للسفر إلى القاهرة وعرض شكواه على والي مصر "محمد على" وهي شيوع الفوضى والإضطراب والصراعات بين السكان داخل الواحة فضلا عن إمتناعهم عن دفع الضرائب(**عبد اللطيف واكد، ١٩٥٦، ٨٢، kher, 2010,83**).

أرسل "محمد علي" في ١٥ فبراير ١٨٢٠م تجريدة(حملة عسكرية) مكونة من ١٣٠٠ مقاتل وجماعة من العرب بقيادة حكمدار محافظة البحيرة"حسن بك الشماشرجي" إلى واحة سيوة لإعادتها مرة أخرى إلى التبعية المصرية، وكذلك استغلال ثرواتها وتأكيد حدود مصر الغربية(**عبد الرحمن الجبرتي،١٩٩٨،٤٧٦**)، ويُقال أن الغربيين فرحوا بقدوم جيش محمد علي فرحًا شديداً عكس الشرقيين الذين بذلوا كل طاقتهم ورجالهم لوضع العراقيل ومنع دخول القوة المصرية إلى الواحة، فغمروا الطريق الموصل للمدينة بالمياه، واستمر القتال لمدة ثلاث ساعات انتصر فيه جيش الشماشرجي الذي قام بالقبض على كبار المشايخ والأعيان وأعدم ستين رجلا، وعين الشيخ"على بالي"(١٨٢٠-١٨٣٧م) شيخًا على الغربيين(**عبد العزيز الدميري، ٢٠١٦،٧٤**)، ثم فرض عليهم الضرائب المفروضة على باقي البقاع المصرية وهي جزية سنوية قدرها ١٠٠٠ ريال وجمع منهم بعض الأموال والتمور ثم عاد وجيشه منتصرين إلى القاهره(**عبد الرحمن الجبرتي،١٩٩٨،٤٧٨**) . ولكن لايمكن اعتبار أن هذا هو السبب الذي دفع محمد علي باشا إلى دخول واحة سيوة، بل يمكن القول بأنه عجل من الأمر فقط، لأن فتح سيوة كان من ضمن خُطة محمد علي لتأمين حدود دولته وتأكيد سيطرته وفرض نفوذه عليها، ومن ثم فقد كان فتح سيوة وإعادتها مرة أخرى إلى التبعية المصرية هو أمر حتمي إقتضته الضرورة السياسية، والدليل على ذلك أن فتح سيوة جاء عام ١٨٢٠م أي قبيل الحملة التي أرسلها محمد على إلى السودان، ومن ثم نلاحظ أنه كان يهدف إلى تأمين حدود مصر الغربية قبل الزحف جنوبًا (**عبد الرحمن الرافعي، ١٩٨٩،١٥٢-١٥٣**).

وجدير بالذكر هنا أن الصراعات والمناوشات بين الشرقيين والغربيين تراجعت بصورة كبيرة منذ أواخر القرن التاسع عشر تقريبًا، ويرجع الفضل في ذلك أولا إلى مشايخ الطريقة المدنية على يد مؤسسها "محمد حسن ظافر المدني" (١٨٢٩- ١٩٠٣) ، الذي سعى إلى التوفيق بين الشرقيين والغربيين فاختار مكانًا بعيدًا عن المدينة وهو جبل الدكرور وطلب من الفريقين التوجه إليه لتناول الطعام معًا وبعد ذلك إقامة حلقة ذكر، وطلب منهم أن يقوموا بنفس الأمر كل عام للتقرب من الله، فهم يجتمعون على حب الله والتقرب منه ويُذكرهم بأنهم إخوة في الإسلام ولا يجوز نشوب حروب بينهم، وأطلق على هذا الأمر اسم " السياحة إلى الله" (**الطيب مسلم ، ١٩٢٧، ٥٢١**)، وكذلك مشايخ الطريقة السنوسية الذين سعوا بكافة الطرق إلى توحيد الواحة والقضاء على تلك الصراعات، وأفضل الطرق التي أتبعها هؤلاء هي تشجيع المصاهرات المتبادلة بين الفريقين، ولقد نجحت هذه الطريقة في الحد من هذه الصراعات بصورة تدريجية.

كما كان للواعظ الديني الذي حرص حكام الأسرة العلوية على إرساله لإصلاح أوضاع الواحة الدينية دور كبير أيضًا في الحد منها ومن ثم تهدئة الأوضاع داخل الواحة، كل ذلك فضلا عن القوانين والقواعد التي وضعها كبار مشايخ الواحة وكذلك الحكومة لتنظيم العلاقة بين السكان، حتى أننا نلاحظ أنه في منتصف القرن العشرين وفي أواخر عهد الأسرة العلوية تكاد تنعدم تلك الصراعات ولا يتجاوز الأمر مجرد مناوشات بسيطة لا تصل إلى حد المشاجرة بالأيدي(**مؤلف مجهول، ١٩٥٢، ٣٤٤**).

وهناك بعض المخطوطات التي تناولت الصراع بين الشرقيين والغربيين والتي تزامنت مع فترة الدراسة، أوردها الدكتور عبد العزيز الدميري في كتابه"*نقوش ومخطوطات من واحة سيوة والساحل*"، ونظرًا لصعوبة الحصول على أصول تلك المخطوطات لتواجدها لدى بعض العائلات التي ترفض وبشدة إطلاع أى باحث عليها، فقد اعتمدت الباحثة عليها من خلال كتاب الدكتور عبد العزيز الدميري ولكن مع شرح وتحليل دقيق لها كلما أمكن ذلك.

"الحمد لله وحده، اعلم ايها الواقف على هذه الكتاب من اهل المعرفة والصواب ، نعم بان اجتمعو التخصيب واللفاية عند الشيخ محمد ابن يوسف العالم الشرعي وحكم عليهم بشريعة المحمدية على شان مصلحة بلادهم اول بدية بيت عبد الرحمن ابن الحاج عيسى حوصين من القلات(سطح البيت) الى تحت في السراديب(قاع البيت) كل من يضرب فيه بندقة(طلق ناري) غرامته مايتان وان صابت احد ومات يقتلوه في بداله(مكانه) من غير نزاع ولا هراج ما خلا الغرفة التحتانية بالمرة الذي يحرسوا منها على سقيفات قعات(حجرات) المسطاح(مكان يتم به نشر التمر لتجفيفه وحفظه) ان جاهم احد يضرب للمراغي يضربوه وكذلك قعة الحاج عتمان ابن الحاج محمد النعامه كل من يضرب منها بندقه غرامته مايتان وان قتل احد يربطوه ويقتلوه في بداله..." (**عبد العزيز الدميري، ٢٠٢٢، ١٠٤**).

تشير تلك المخطوطة إلى تنظيم العلاقات بين الشرقيين والغربيين، وكان ذلك من خلال القاضي الشرعي بالواحة الذي كان هدفه الأساسي هو محاولة المحافظة على استقرار الأمن داخل الواحة، وكان يتم اختياره من قبل كبار مشايخ الواحة بما له من صفات تؤهله للقيام بمهام القاضي من نزاهة وحسن سير وعدل وموضوعية وأمانة، كما كان يشترط على من يتم اختياره لمهمة القاضي أن يكون حافظًا لكتاب الله وعالما بسنة رسول الله ، بالقدر الذي يمكنه من إصدار احكامًا عادلة، ثم أصبح يُعَين بطريقة رسمية من قبل الحكومة المصرية بعد حملة محمد علي باشا عام ١٨٢.م(**ريم الغزل، ٢٠١٩، ٢٢٥**).

فقام القاضي الشرعي بمحاولة الحد من الصراعات المسلحة بين السكان كما جاء في تلك المخطوطة، بأن أشار إلى بيت عبد الرحمن ابن الحاج عيسى حوصين كبداية لمنطقة الشرقيين وهم "اللفاية"، وقام بفرض غرامة قدرها مائتين ريال لكل من يستخدم سلاح ناري بداية من سطح البيت وحتى أسفل البيت، وإذا أصاب أحد وقتله يُقتل في مكانه على الفور، ماعدا حجرات" المسطاح" فيكون عليها حراسة من أهل البيت، وإذا قام أحد الغربيين"التخصيب" بالتعدي على

المسطح يتم ضربه في الحال، كما أشار إلى بيت الحاج عتمان بن الحاج محمد النعامه كبداية لمنطقة الغربيين، وأقر عليها نفس ما أقره على الشرقيين.

كما أقر غرامة قدرها مائتين ريال على كل سلاح ناري يظهر لدى أحد الشرقيين أو الغربيين والعشرة أسلحة غرامتها ألفين ريال.

أما إصلاح الطرق أو الحدائق العامة أو أي منشأة خدمية فيكون من خلال بيت المال، أما إذا تسبب أحد في تخريب تلك المنشآت قصدًا فيكون عليه إصلاحها مع دفع غرامة قدرها أربعون ريال.

وهناك مخطوطة أخرى ذكرها الدكتور عبد العزيز الدميري في كتابه تشير إلى تقدير الديات، وقد جاء فيها أن قام أحد الغربيين بإصابة أحد الشرقيين بجرح في يده من خلال طلق ناري، فتم عقد مجلس شرعي برآسة القاضي الشرعي ومعه مجموعة من مشايخ الشرقيين والغربيين لتقدير الدية والشهادة على دفعها وإقرار الصلح بين المتنازين تجنبًا لمزيد من الصراعات، فانتهى المجلس بأن تم تقدير دية قدرها عشرة زيار محابيب(عملات ذهبية) وهو ما يعادل ألف وامئتان ريال، وبالفعل قام الغربي بدفع الدية وتم الصلح بين الطرفين **(عبد العزيز الدميري، ٢٠٢٢، ١١٤-١١٦)**.

**العلاقة بين السكان والغرباء الذين يزورون الواحة:**

إن سكان واحة سيوة بطبيعتهم هم قوم منغلقون على أنفسهم، يرفضون تدخل أي غريب في حياتهم، بل يمكن القول بأنهم يخشون الغرباء وفي كثير من الأحيان يرفضون مجرد دخولهم إلى واحتهم، ربما يرجع السبب وراء ذلك إلى كثرة ما عانوه طوال تاريخهم من هجمات البدو والبربر وغيرهم وهدمهم لمدينتهم القديمة، وقتلهم لمعظم سكان الواحة في أواخر القرن الثاني عشر، وهذا الأمر قد ولد داخلهم خوف وكراهية ضد أي غريب، ولقد توارث سكان الواحة في العصر الحديث هذا الخوف والبغض ضد أي أجنبي، كما ولد بداخلهم أيضًا تعصب لدينهم وشعبهم**(مروان حماد، ٢٠٠٦، ١٠٤)**.

لهذ السبب كانوا يرفضون دخول الرحالة إلى واحتهم خاصة أنهم غير عرب وعلى غير دين الإسلام، وكان أول رحالة أوروبي يزور الواحة في العصر الحديث هو "دبليو ج براون D.G. Browne" والذي زار الواحة عام ١٧٩٢م، واصطحب معه مترجمًا والتحق بإحدى القوافل التي كانت في طريقها إلى واحة سيوة، ونظرًا لمعرفته بطبيعة سكان الواحة فقد تنكر في ملابس عربية وأدعى الإسلام، إلا أن أمره قد انكشف بسهولة نظرًا لعدم قدرته على التحدث بالعربية، فرفض السيويون السماح له بالتجول في واحتهم(أحمد فخري، ١٩٧٣، ١٣١)، فقاموا بأخذه ووضعه عند أحد مشايخهم، الذي أكرمه وسمح له بالبقاء لمدة ثلاثة أيام كما يقتضي واجب الضيافة عند البدو على الرغم من تضرره من وجوده وعدم الإطمئنان له، ورغم ذلك فقد واجه براون أسوأ معاملة من أهل الواحة فكان بمجرد خروجه من منزل الشيخ كان يواجه بإلقاء الحجارة عليه، وفي فجر اليوم الثالث خرج للبحث عن "معبدآمون"، ولكن سكان الواحة لم يسمحوا له بدخول معبدهم بل وأجبروه على الرحيل خارج واحته**(Vivian, C, 1990, 699)**.

ثم جاء بعده الرحالة الألماني"فريدريك هورنمان Fredrick Horneman" ومعه رفيقه الرحالة "جوزيف فرندربيرج G. Frenderburg" الذان زارا الواحة عام ١٧٩٧م ملتحقين بإحدى القوافل أيضًا، وفي البداية كانت معاملة أهل الواحة ومشايخها لهما ليست بنفس السوء مع براون؛ ذلك لمعرفة هورنمان ورفيقه باللغة العربية وبعض آيات من القرآن الكريم وإدعائهما الإسلام، وسمح لهما المشايخ بالتجول في الواحة، فقاما بزيارة شالي وأغورمي، كما قاما بزيارة بعض الأماكن الأثرية والتنقيب خلسة عن الآثار وأخذ عينات من المعادن وغيرها من الأمور **(Vivian, 1990, 700)**، ولكن ما أن أكتشف أهل الواحة بأنهم مسيحيين، قاموا بإبلاغ مشايخهم الذين أجبروهم على الإلتحاق بقافلة مغادرة سيوة، كما أبلغوهم بأن هناك جيشًا من ألف رجل قادمين إليهم من الفيوم للقضاء عليهم لكونهم جواسيس، فقاموا بإحراق كل ما سلبوه خلسة

من الواحة وكان عبارة عن: أجزاء من مومياوات، عينات معدنية، بعض الأوراق والوثائق الخاصة بالواحة، وقاموا بدفنها في الصحراء خوفا من أن يعلم أحد السيويين بفعلتهم، ثم قاموا بالرحيل عن الواحة(**فريدريك هورنمان، ١٩٦٨، ٥٤-٥٦**). وغيرهم الكثير من الرحالة الذين زاروا الواحة قبل مجئ جيش محمد على والذين لم يكن حظهم بأحسن حال ممن سبقوهم .

إلا أن الوضع قد تغير كثيراً بعد وصول جيش محمد علي إلى الواحة عام ١٨٢٠م، حيث اصطحب حسن بك الشماشرجي - في حملته على سيوة لإعادتها مرة أخرى إلى التبعية المصرية- القنصل الفرنسي" برناردينو دروفيتي B. Drofitty"، المهندس والفنان" لينان دي بليفوند L. de Bellefonds" والذي أصبح وزير الأشغال العام في مصر عام (١٨٦٩-١٨٧٠م) ، ومجوعة من الأطباء الفرنسيين والإيطاليين، وكان الهدف الرئيسي من تلك البعثة التي صاحبت حملة "محمد علي باشا" على سيوة هي دراسة أوضاع الواحة من كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية والثقافية والفنية والأثرية...إلخ (**مصطفى نبيل، ٢٠٠٣، ٩٠**).

وبعد أن تمكن الشماشرجى من تهدئة الأوضاع وفرض الضرائب على سكان الواحة، بدأت الحكومة المصرية في إرسال الموظفين من الوادي والدلتا إلى الواحة للعمل بكافة الوظائف الحكومية هناك، كما قامت بإرسال عدد لا بأس به من المهندسين لتنفيذ المشروعات الإصلاحية التي أراد محمد على باشا تنفيذها لإصلاح الواحة والإستفادة من خيراتها، ولقد سار على نهجه خلفاءه من حكام الأسرة العلوية(**مؤلف مجهول، ١٨٩٧، ٧٤٠**).

أما عن موقف أهل الواحة من الوضع الجديد الذي طرأ عليهم، فقد كان موقفاً عدائيًا في بادئ الأمر، ثم أعتادوا بمرور الزمن على وجود الموظفين والمهندسين والرحالة والزائرين وغيرهم الذين أقاموا في الواحة وأصبحوا جزءًا من السكان، وقد حرصوا أيضًا على أن تكون علاقتهم طيبة بالموظفين خاصة أولئك الذين احتلوا المناصب الرئيسة والهامة في الواحة؛ نظرًا لارتباط المصالح بين الفريقين، كما اهتم أهل الواحة فيما بعد بإظهار كرم الضيافة للموظفين من حيث دعوتهم لتناول الطعام وشرب الشاي في حدائقهم، حتى أن سكان الواحة قد انخرطوا معهم في حياتهم، وتأثروا بهم في بعض جوانب الحياة الاجتماعية(**أحمد فخري، ١٩٧٣، ٧٣**).

أما إذا تحدثنا عن العلاقة بين السيويين والبدو من العرب فيجب ألا نغفل ما فعله العرب بأهالي سيوة قديمًا، فالسيويين لم ينسوا هجمات وغارات البدو عليهم وقتلهم لأعداد كبيرة منهم في الماضي، لذا فقد كانت العلاقة متوترة مغلفة بسوء النية بين الطرفين، والبدو كانوا يخشون السيويين كثيرًا؛ لإعتقادهم بقدرتهم على السحر وتيقنهم أنهم لم ينسوا الأذية التي ألحقوها بهم وبرغبتهم في الإنتقام منهم، لذا فنادرًا ما كان يدخل البدو إلى داخل الواحة للإقامة، بل كانوا يعسكرون خارج الواحة، ورغم ذلك كان التبادل التجاري بين الفريقين نشطاً( **رفعت الجوهري، ١٩٤٦، ٦٩**).

## الطبقات الاجتماعية في واحة سيوة:

**شيخ القبيلة**: يتم اختياره بواسطة أفراد القبيلة ، وعادةً ما يكون أكبرهم سنًا وأيسرهم حالا وأكثرهم هيبة وحكمة وعقلانية بالقدر الذي يجعل جميع أفراد القبيلة يأخذون برأيه ومشورته ويحتكمون له في خلافاتهم، وكذلك يقبلون العقوبات التي يقرها على المخطئين منهم، ولم يكن يشترط على شيخ القبيلة في الماضي أن يكون مجيدًا للقراءة والكتابة، ولكن مع تطور الأوضاع وزيادة أعداد السكان وزيادة وتنوع مشكلاتهم أصبح لزامًا عليه أن يكون مجيدًا للقراءة والكتابة وكان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين أي بعد انتشار التعليم بين الناس، وكان مقام شيخ القبيلة كبيراً بين الناس فهو بمثابة حاكمهم الذي لا يجوز مخالفة أوامره، وظل كذلك حتى عام ١٨٧٠م حيث شكل مأمور الواحة "مجلسًا للمشايخ" (**عبد العزيز الدميري،٢٠١٦، ٧٤**).

**العواقل**: وهم رؤساء العائلات من الأغنياء والأعيان الذين تكون منهم أعضاء مجلس القبيلة الذي عُرف ب"مجلس الأجواد"، وكان يُشرط فيهم حسن الخلق ورجاحة العقل والميل

إلى السلم والحيادية والإخلاص وأن يكون مقصدهم دائمًا الحق، وهم يمثلون حلقة الوصل بين شيخ القبيلة وباقي أفرادها، فعند مناقشة أمرًا ما يتعلق بأفراد القبيلة الواحدة أو بباقي قبائل الواحة تكون مهمتهم هي إبلاغ أفراد عائلاتهم بالأمر(**حسين الرفاعي،١٩٣٢، ٣٧**).

**أفراد القبيلة:** وهم باقي سكان الواحة من متوسطي الحال، ويكون لهم دخل خاص بهم إما لإمتلاكهم أرض زراعية يتربحون منها، أو لقيامهم بأداء بعض الحرف للإنفاق على ذويهم.

**الفقراء وعمال الأراضي والزقالة:** وكانت هذه الطبقة هي أدنى طبقات المجتمع السيوي، والتي سوف نتناولها تفصيليًا لاحقا. وهي جماعة لا تملك أي مصدر للدخل فيعملون لدى ملاك الأراضي الزراعية لتكسب قوت يومهم(**عبد العزيز الدميري،٢٠١٦، ٧٥**).

**مجلس الأجواد:** هو مجلس يتكون من رؤساء العائلات الكبرى في واحة سيوة؛ أما السبب الذي دعا إلى إنشائه فيتمثل في زيادة أعداد سكان الواحة أنفسهم وزيادة أعداد الوافدين إليها للعيش بها، ومع زيادة أعداد السكان وإنقسامهم إلى كتلتين شرقية وغربية زادت الصراعات بينهم، وكان جميع سكان الواحة يتدخلون في تلك الصراعات كل إلى جانب الفريق الذي ينتمي إليه، مما أدى إلى شيوع الإضطرابات والفوضى وعدم الشعور بالإستقرار والأمان داخل الواحة، وفي بعض الأحيان كانت الأطراف المتنازعة تحتكم لأحد أفراد القبيلة الذي يتوسمون فيه الحكمة والعدل، وفي حالة عدم إقتناعهم برأيه كانوا يلجأون لغيره لحل هذا النزاع الذي لا يستدعي الرجوع إلى شيخ القبيلة؛ لذا كانت هناك حاجة ملحة لوجود يد حاكمة تُدير شئون الواحة وتعاون شيخ القبيلة في حل النزاعات الداخلية والقضاء على الفوضى وتحقيق الاستقرار والأمان وتنظيم الشئون الداخلية ووضع قواعد وقوانين حاكمة تُفرض على جميع السكان(**الطيب مسلم،٢٥٥، ١٩٢٧، عبد الفتاح رفعت، ١٩٠٣، ١٢**)، ومن هنا عقد الشيوخ النية على تكوين هيئة حاكمة تبسط سلطانها على الواحة، فاجتمع سكان الواحة وانتخبوا فيما بينهم عددًا من رؤساء العائلات ممن اشتهروا بتقواهم وميلهم إلى العدل والحيادية ورجاحة العقل وبعد النظر، وكونوا من هذه الهيئة مجلسًا اطلقوا عليه"مجلس الأجواد"، وكان يعقد وراء باب السور البحري لمدينة سيوة، في مكان يتكون من عدة مصاطب والذي أصبح في أواخر القرن التاسع عشر عبارة عن بناء يتكون من دور واحد به غرفة كبيرة يجتمع في رؤساء المجلس للنظر في أمور السكان، وكانت مهامه الأساسية تتمثل في: النظر في النزاعات بين السكان والفصل في قضاياهم دون تحيز أو مجاملة، كذلك النظر في أمر الغرباء الطارئين على الواحة والذين يأتى بهم "الزقالة" إلى الأجواد، ثم يأتي "شيخ الخبر" ليتفاهم معهم كل حسب لغته، ويسألونهم عن سبب قدومهم إلى الواحة، فإذا ثَبُت لهم حسن نيتهم وافقوا على إستضافتهم ثلاثة أيام يتزودوا فيها بالماء والزاد ثم يرحلوا، وإن ثَبُت لهم سوء نيتهم عاقبوهم وأجبروهم على الرحيل الفوري من الواحة(**عبد اللطيف واكد،١٩٥٦، ٦٥-٦٦**).

وجدير بالذكر أن هذا المجلس ظل معترفًا به ويقوم بدوره حتى دخول جيش محمد علي إلى الواحة بقيادة حسن بك الشماشرجي عام ١٨٢٠م، الذي قام بتعيين مأمورًا على الواحة وهو "فرج الكاشف"(١٨٢٠- ١٨٢١) أول مأمور معين من قبل الحكومة المصرية على سيوة، كما قام بتعيين مجموعة من الموظفين لمعاونته في إدارة شئون الواحة وتحصيل الضرائب من سكانها، ولكن هؤلاء الموظفين لقوا صعوبة بالغة في التعامل مع الأهالي والفصل بينهم فدارت بينهم مناوشات عديدة (Vivian, 1990, 700)، وظل الوضع كذلك حتى عام ١٨٧٠م حيث عُين على الواحة مأمور من الأتراك يُدعى "إبراهيم عبد الله" (١٨٧٠- ١٨٧٢) الذي اقترح تشكيل مجلس يتكون من أعيان الواحة وأطلق عليه مجلس أعيان واحة سيوة(المجلس الكبير) -وهو يشبه إلى حد كبير مجلس الأجواد، إلا أنه يختلف عنه في مكانته، فمجلس الأجواد كان يلى مجلس المشايخ في المكانة وصفة الحكم بينما المجلس الكبير يرأس مجلس المشايخ- والذي تم تشكيله فعليًا عام ١٨٧٣م، وكان يرأس هذا المجلس مأمور الواحة يليه الأعضاء وهم من أعيان الواحة يتم إنتخابهم للعضوية لمدة خمس سنوات بدون أجر لقاء خدمتهم، وفي حالة إستقالة أو وفاة أي عضو من

المجلس يتم إنتخاب آخر من نفس عائلته، ذلك أن هؤلاء الأعضاء يمثلون جميع العائلات الكبرى بالواحة، كماتسري على هؤلاء نفس القوانين التي تسري على باقي السكان، فإذا ارتكب أحد الأعضاء أي جُرم أو خطيئة وثَبُتت إدانته تتم معاقبته كما أنه يُحرم من الإنضمام للمجلس مرة أخرى(**ريم الغزل،٢٠١٩، ٢٢٦**).

**مجلس المشايخ:** تم تشكيله عام ١٨٧٣م عقب تشكيل المجلس الكبير، وهو يضم جميع مشايخ الواحة الذين يعملون تحت إشراف "المجلس الكبير"، ومهمته النظر في المسائل الصغيرة والبسيطة بين السكان والتي لا تستدعي عرضها على مجلس الأعيان كالخلافات أو المشاجرات بين السكان وبعضهم، أما المسائل الكبرى فتُحال إلى المجلس الكبير للنظر فيها (**ريم الغزل،٢٠١٩، ٢٢٦**).

وهنا يمكن القول أن المجلس الكبير ويليه مجلس المشايخ كانا يمثلان همزة الوصل بين أهل الواحة وبين ممثلي الحكومة المصرية، ذلك أن الأخيرة كانت في كثير من الأحيان ما تفقد سيطرتها على الواحة فلم يكن بوسع مأمور الواحة السيطرة على تمرد الأهالى والمشايخ بزعامة السنوسيين الذي بسطوا نفوذهم على الواحة، لذا كان يلجأ أحيانًا إلى السنوسي الكبير وأعوانه لحل المشاكل الكبرى في الواحة على الرغم من أن مركزهم في ذلك الوقت كان في واحة جغبوب الليبية، لكن رغم ذلك كانت لهم سلطة ونفوذ مذهبي ديني كبير على أهل الواحة ومشايخها(**رفعت الجوهري، ١٩٤٦، ١٠٥**)، ولقد انتشرت في تلك الفترة الفوضى والإضطرابات والصراعات المستمرة بين السكان التى وصلت لدرجة السطو على الحدائق والممتلكات الخاصة، وإمتناعهم عن دفع الضرائب، فحمل جميع السكان الأسلحة منذ خروجهم من ديارهم حتى عودتهم إليها؛ وكان سبب ذلك كما سبق أن ذكرنا هو ضعف مأمور الواحة وعجزه عن إدارة شئونها وترك الأمر في يد مجلس المشايخ والمجلس الكبير دون أدنى تدخل من الحكومة، لذا قامت الحكومة المركزية لإصلاح هذا الوضع وإعادة الواحة إلى سيطرتها مرة أخرى بإرسال لجنة بقيادة "مصطفى بك ماهر حكمدار مديرية البحيرة" عام ١٨٩٦م ، فقام أولا بإلغاء العمل بمجلس الأعيان ومجلس المشايخ، وأصدر قانون "أهالى سيوة" عام ١٨٩٧م الذي تكون من ٣٣مادة- سوف نعرض منها ما يتعلق بالجانب الاجتماعي والاقتصادي بالواحة- ، وتولى المأمور الأحكام والقضاء بنفسه وأحيانًا كان يلتزم ببعض الأحكام العرفية، وقد تم إلغاء هذا القانون عام ١٩١٤ مع بداية الحرب العالمية الأولى(**رفعت الجوهري،١٠٧،١٩٤٦**)

**الزقالة:** جمع "زقال" وتعني " حامل الزقلة وهي العصا القصيرة الغليظة، وهي تعني أيضًا " الخديم": وهو الشخص الذي يقوم بخدمة غيره. وهم جماعة من السكان كان لهم تأثير واضح في واحة سيوة إيجابيًا وسلبيًا، وكانوا يتكونون إما من الفقراء الذين ينتسبون إلى عائلات الواحة ولكن لا يمتلكون أرضًا لزراعتها أو حرفة للعمل بها، لذلك كانوا يعملون عمالا لدي رؤساء العائلات التي ينتسبون لها، وكانت مهمتهم الأساسية هي العمل في حدائق الأغنياء أثناء النهار، وحراسة الواحة أثناء الليل، وكان بعضهم يعمل في الحراسة الخاصة لأحد الأغنياء أو النبلاء، وكذلك كانوا مسؤولين عن توقيع العقوبات التي يحكم بها مشايخ الواحة على من يخالف القانون(**أحمد فخرى، ١٩٧٣،٦٩**).

كان عمر الزقال يتراوح بين العشرين والأربعين عامًا وكان قوي البنيان ذلك أن أعمال الحدائق تحتاج إلى قوة ولياقة بدنية عالية حيث يكون على العامل أن يتسلق أشجار النخيل إلى أعلاها دون أن يربط حبلا حول وسطه في كثير من الأحيان، كما يكون عليه أن يعمل طيلة النهار وأن يقوم بالحراسة طيلة الليل وهذا العمل الشاق يصعب أن يقوم به رجل ضعيف أو هزيل(**سوزان السعيد،١٨،٢٠٠٧**).

كذلك لم يكن مسموحًا لهم بالزواج إلا بعد سن الأربعين؛ ذلك لأن الأغنياء كانوا يتولون أمرهم تمامًا وكانوا غير مستعدين لتولى أمر أسرهم والإنفاق عليهم أيضًا، فضلا عن رغبة الأغنياء في عدم وجود أي عائق يشغل الزقالة ويلهيهم عن أداء أعمالهم، لذلك لم يكن مسموحًا لهم أيضًا بالمبيت داخل أسوار الواحة بل خارجها في كهوف يصنعوها لأنفسهم؛ ذلك حتى

لا يفتنون النساء المتزوجات والغير متزوجات، وهذا الأمر أثر كثيرًا على أخلاقهم وسلوكياتهم الأمر الذي انعكس بالضرورة على أخلاق الواحة وسمعتها بين الناس.ذلك أنهم مع مرور الوقت أصبحوا جماعة مترابطة من الشباب أقوياء البنيان، وأسسوا لأنفسهم مجتمع صغير خاص بهم، فكانوا يقضون أمسياتهم معًا يمرحون ويحتسون "اللبجي"، ويجدون متعتهم وتسليتهم في الرقص والغناء والقيام بكل أنواع الملذات التي تتناسب مع سنهم وأخلاقهم، لذلك لم يكن غريبًا أن تتنتشر بينهم ظاهرة الشذوذ الجنسي التي تأثر بها فيما بعد أبناء الأغنياء الذين كانوا يشاركون الزقالة سهراتهم( **صبري علوان، ١٩٥٢، ٣٣٦**).

كان الأغنياء الذين يعمل لديهم الزقالة مسؤولين عن تقديم ثلاث وجبات يوميًا للخديم طوال أيام السنة، كما كان عليه أن يقدم له كساء يتكون من قميص قصير الأكمام وبنطال واسع في الصيف، وقميص طويل الأكمام وبنطال وشال وعمامة في الشتاء وكذلك رداء منسوج باليد قصير يسمى"الجبتي"، وفي موسم الحصاد يكون لزامًا عليهم إعطاء الخديم عشرون صاعًا من الشعير وأربعون صاعًا من أجود أنواع التمور مقابل ما قاموا به من أعمال على مدار العام فكانوا لا يتقاضون أجرًا ماليًا مقابل خدمتهم (**عبد اللطيف واكد،١٩٦٥، ١٩**).

وظل وضع الزقالة كذلك حتى بدايات القرن التاسع عشر تقريبًا، حيث بدأت تزداد قوة هذه الجماعة وتزداد أعدادهم ولم يعد مجرد إطعامهم وكسائهم كافٍ كما كان يحدث في الماضي،فتمردوا على أوضاعهم وطالبوا بحقهم في الحصول على مال مقابل عملهم، ولقد تحسنت أوضاع الزقالة كثيرًا بعد دخول جيش "محمد علي" إلى الواحة فأصبحوا يُأجرون مقابل مال؛ ذلك لأن الملاك الأغنياء أصبحوا يعتمدون عليهم أعتمادًا كليًا ليس فقط للعمل في الحدائق وحراسة الواحة، بل أيضًا كانوا يشكلون فريقا أساسيًا لا يمكن الإستغناء عنه في الحروب التي كانت تنشب بين الشرقيين والغربيين، وفي أواخر القرن التاسع عشرأصبح "الزقالة" قوة متماسكة ومترابطة وزادت قوتهم(**حسن المخزومي، ١٩٠٦، ٤٢٧**)، وأصبح بعضهم رفقاء لكبار الأغنياء والنبلاء يأخذون برأيهم ويستمعون لهم، وبمرور الوقت حصلوا لأنفسهم على الحق الذي يخول لهم أن يكون لهم صوت مسموع في أي منازعات أو صراعات تتعلق بالحدائق أو بالطرق أو بعيون المياه، وكذلك في الحروب التي كانت تنشأ بين الشرقيين والغربيين، الأمر الذي دفع "مجلس الأجواد" أي المجلس الذي يتكون من رؤساء العائلات إلى تغيير قراراته في بعض الأحيان لأن الزقالة لم يقبلوا بها، كما أصبحوا هم أنفسهم ملاكا لأراضي أشتروها من رواتبهم واستصلحوها وقاموا بزراعتها ومن ثم لم تعد هذه الجماعة في حاجة للعمل لدى الأغنياء مما أدي لإختفائها تدريجيًا من المجتمع السيوي(**أحمد فخري، ١٩٧٣، ٧١**).

## الخاتمة:

هكذا أوضحت هذه الورقة البحثية أن أصل سكان واحة سيوة هم من بدو شمال أفريقيا الذين هاجروا إلى الواحة واستقروا بها واختلطوا على مر العصور بجماعات أخرى من المصريين والأثيوبيين والزنوج، وتفرعوا إلى عدة قبائل وعائلات، كما انقسموا إلى فريقين: شرقيين وغربيين، واعتمدوا في نظام حكمهم على النظام القبلي القائم على رئاسة شيخ القبيلة، كما تعرفنا عن الهيكل السكاني للواحة ودور كل جماعة، فضلا عن بيان طبيعة العلاقات السائدة في الواحة سواء بين السكان وبعضهم البعض، أو بينهم وبين الغرباء، وكيف كان لمشايخ السنوسية والمدنية دور كبير في الحد من الصراعات بين الشرقيين والغربيين، إلى جانب دور ممثلي الحكومة في حفظ الأمن والنظام داخل الواحة.

# المراجع

## المراجع العربية


١- رفعت الجوهري. (١٩٤٦). *جنة الصحراء سيوة أو واحة آمون*. دار المعارف، القاهرة.

٢- رفعت الجوهري.(د.ت). *شاطئ الأحلام أسرار من الصحراء الغربية*. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر.

٣- السيد صبري. (١٩٣٥). *تحليل نتائج التعداد في مصر*، القاهرة.

٤- حسين علي الرفاعي. (١٩٣٢). *واحة سيوة من النواحي التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية*. المطبعة الأميرية، القاهرة.

٥- عبد الرحمن الجبرتي. (١٩٩٨). *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*. تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الجزء الرابع، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

٦- عبد الرحمن الرافعي. (١٩٨٩). *عصر محمد علي. الطبعة الخامسة*، دار المعارف المصرية، القاهرة.

٧- فريدريك هورنمان. (١٩٦٨). *الرحلة من القاهرة إلى مرزق*. (ترجمة: مصطفى محمد جودة)، مكتبة الفرجاني، طرابلس.

٨- محمد صقر خفاجة(١٩٨٧): هردوت يتحدث عن مصر، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٩- عبد العزيز الدميري. (٢٠١٦). سيوة والساحل الماضي والحاضر. الطبعة الثانية، مطبعة ياسو، الإسكندرية.

١٠- عبد العزيز الدميري. (٢٠٢٢). نقوش ومخطوطات من واحة سيوة والساحل. الطبعة الأولي، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.

١١- عبد اللطيف واكد. (١٩٥٦). *واحة آمون بحث شامل عن سيوة*. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

١٢- أحمد فخري. (١٩٧٣) *واحة سيوة*. مطابع هيئة الآثار المصرية، القاهرة.

١٣- عثمان الأمير. (٢٠٢٠). سيوة واحة الكنوز. الطبعة الأولى، مطبعة النهضة العصرية، الجيزة.

١٤- سوزان السعيد. (٢٠٠٧). المأثورات الشعبية في سيوة. مطبعة وزارة الثقافة، القاهرة.

١٥- محمد غنيم. (٢٠١٤). *المعوقات الثقافية للتنمية بالمجتمعات الصحراوية دراسة أنثروبولوجية في محافظة مطروح*. الإدارة العامة للإحصاء والمعلومات، القاهرة.

١٦- عبد الله بازينة. (٢٠١٠). *انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحرء*. الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، ليبيا.

١٧- بدون اسم. (١٩١٢). واحة سيوة جغرافيتها وتاريخها وسائر أحوالها. مجلة الهلال، (٦)، ٣٣٩- ٣٤٩.

١٨- محمد صبحي عبد الحكيم. (١٩٧٤).سكان مصر خلال القرن التاسع عشر. مجلة دراسات سكانية، ع(٧).

١٩- عداد عموم سكان القطر المصري. (١٨٨٢). (٢)، المطبعة المصرية ببولاق، القاهرة.

٢٠- تعداد عموم سكان القطر المصري. (١٨٩٧). (١)، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة.

٢١- تعداد سكان القطر المصري. (١٩٠٧). (٢)، المطبعة الأميرية بمصر، القاهرة.

٢٢- تعداد سكان القطر المصري. (١٩١٧). (٢)، المطبعة المصرية ببولاق، القاهرة.

٢٣- تعداد عموم سكان القطر المصري. (١٩٢٧). (٢)، المطبعة المصرية ببولاق، القاهرة.

٢٤- تعداد عموم سكان القطر المصري. (١٩٣٧). مصلحة عموم الإحصاء والتعداد بوزارة المالية، (١)، المطبعة المصرية ببولاق، القاهرة.

٢٥- تعداد عموم سكان القطر المصري. (١٩٤٧). مصلحة عموم الإحصاء والتعداد بوزارة المالية، (٢)، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة.

٢٦- بدون اسم. (١٩٥٢). واحة آمون. *مجلة الهلال*، (٦٨)، ٣٢٢- ٣٢٧.

٢٧- بدون اسم. (١٩٠٦). واحة سيوة ورحلة الجناب العالي إليها. *مجلة الهلال*، (٧)، ٤٢٦- ٤٢٨.

٢٨- بدون اسم. (١٩٨٧). واحة سيوة. *مجلة الشموع*، (٢٧)، ٨٠- ٨٤.

٢٩- بدون اسم. (١٨٩٧). واحة سيوة. *مجلة الهلال*، (١٩)، ٧٣٨- ٧٤٠.

٣٠- مصطفى نبيل. (٢٠٠٣). واحة سيوة بين العزلة والاتصال. *مجلة الهلال*، (٢٤)، ٩٠- ٩٥.

٣١- حسام محسب.(١٩٧٢). رقصة الزجالة بواحة سيوة. الثقافة الشعبية، ع(١٥)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

٣٢- عبد الفتاح رفعت. (١٩٠٣). *عام من الحياة في المأمورية السنوية بالواحة السيوية*. محفوظ بدار الكتب والوثائق القومية، رقم ١٠٦٠، القاهرة.

٣٣- الطيب مسلم عمر. *مخطوطة تاريخ السيويين وأهم عوايدهم من الفتح الإسلامي إلى ١٩٢٧*.

٣٤- ريم فاروق الغزل. (٢٠١٩). جغرافية واحة سيوة وهيكلها الإداري. *مجلة القراءة والمعرفة*، جامعة عين شمس،ع(٢١٣)، ٢١٣-٢٣٢.

٣٥- محمود طه.(١٩٥١). الجغرافيا الإقليمية لواحة سيوة. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

## المراجع الأجنبية:

**36-** Basset, R. (1894). *Etudes sur Les Dialectes Berbers*, Paris.

**37-** Bates, O. (1914). *The Eastern Libyans*. London.

**38-** Vivian, C. (1990). *The Western Desert of Egypt*. Cairo: The American University .In Cairo Press.

**39-** Belgrave, C. (1923). *Siwa*. Chicago: Oriental Institute University of Chicago.

**40-** Walker, W. (1921). *The Siwi Language*, London.

**41-** Kher, s. (2010). *Matrouh History- Ethnology- Traditions- Nature- Marsa Matrouh- Siwa Oasis*. Pharaoh print.

**42-** Hohler, T. (1900). *A report of the oasisi of Siva*. Cairo.

**43-** Stanley, C. (1912). The oasis of Siwa. Journal of the Royal African Society, 11(43), 290-324.